

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[512] عن طريق الوصية (1). وجملة (إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ) تبين آخر فرصة للوصية، وهذه الفرصة الأخيرة إن فاتت أيضاً فلا فرصة بعدها ... أي لا مانع أن يكتب الإنسان وصيته قبل ذلك، بل يستفاد من الروايات أن هذا عمل مستحسن. ولا قيمة لتلك التصورات المتشائمة من كتابة الوصية، فالوصية إن لم تكن باعثاً على طول العمر، لا تبعث إطلاقاً على تقريب أجل الإنسان! بل هي دليل على بعد النظر وتحسب الاحتمالات. تقييد الوصية (بِالْمَعْرُوفِ) إشارة إلى أن الوصية ينبغي أن تكون موافقة للعقل من كل جهة، لأن "الْمَعْرُوفَ" هو المعروف بالحسّ لدى العقل. يجب أن تكون الوصية متعقلة في مقدارها وفي نسبة توزيعها، دون أن يكون فيها تمييز، ودون أن تؤدي إلى نزاع وانحراف عن أصول الحق والعدالة. حين تكون الوصية جامعة للخصائص المذكورة فهي محترمة ومقدسة، وكل تعديل وتغيير فيها محظور وحرام. لذلك تقول الآية التالية: (فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ). ولا يظنّ المحرفون المتلاعبون أن الإنسان غافل عملاً يفعلون، كلاً (إِنَّ سَمِيعٌ عَلِيمٌ). ولعل هذه الآية تشير إلى أن تلاعب "الوصي" (وهو المسؤول عن تنفيذ الوصية) لا يصادر أجر الموصي. فالموصي ينال أجره، والإثم على الوصي المحرف في كمية الوصية أو کیفیتها أو في أصلها. ويحتمل أيضاً أن الآية تبرء ساحة غير المستحقين الذين قسم بينهم الإرث عند عدم التزام الوصي بمفاد الوصية. وتقول إن هؤلاء (الذين لا يعملون